(ما من سوء فهم)

_ شوقي مسلماني.

\\

الوقتُ

المناسب

صناعة

عالية.

\\

رأيتُه

في المكان وفي اللامكان،

في النطق وفي الصمت،

في النظرات الرؤومة،

في فطنة، في تصميم،

يستعِير مِن الشمس عيناً

ومن المسافةِ سِعة،

بعيونٍ تنظر بتلفازِ العالم.

ورأيتُه

ينطفئ اشتعالاً.

**

شجرةٌ ضخمة

مليئة بالسكّان،

مَنْ يتولّى أمرَهم

ولا يهمُّه أمرَهم،

مَنْ يفضح قوّادي العاصمة،

مَنْ يضيع في العويل،

مَنْ يخرج على الحصار

الذي هو فيه،

من يُطالب بقامةٍ عالية،

مَنْ يقع في قلبِه

موقعاً شديدَ الحساسيّة

ما قاله همنغواي لأهرنبرغ

عن شاب أمميّ أمريكيّ

قضى في الحرب:

"لا أقذر مِنَ الحرب،

ولكنّني أعرف فيها لماذا ولدتُ،

لا بدّ من إقصاء الفاشست عن مدريد..

هل ترى كيف هي الأمور؟

نحن نودّ أن نقول للسلاح وداعاً

وفي آن لا خيار أمامنا

إلاّ أن نقبض على السلاح"..

ومَنْ يفرح بلحظةِ الميلاد

وينهار هاذياً

مِنْ آلامِ الحلمِ متجسِّداً..

مَنْ يقول:

"ما أكثر الأذكياء

مِنْ حولي

وما أقلّ الشرفاء"..

مَنْ "مثَلُه مثَل طير

وقع في الشباك،

وكلّما جاهد

كلّما أطبقتِ الشبكةُ عليه،

ولا نفسُ الطير

التوّاقة إلى الحريّة هدأتْ واستكانت

ولا خيوطُ الشبكة مكّنته،

وهو في مدّ وجزْر

حتى أخيراً خارت عزيمتُه

وشُلّ عن الحركة

فأغمض عينيه

مستسلماً

لسكّين الصائد"..

"ولكن إذا حمّ القضاء

على امرئ

فليس له برٌّ يقيه

ولا بحر"..

ومَنْ للأجمل

ينذرُ عمرَه.

**

عقولٌ أنظف مِنْ عقول

وعقول أحطّ من انحطاط

حيث لا كرامة لشريف.

**

أرواحٌ

لا عدّ ولا حصر لها

سابحة في المياه الحلوة

والمياه المالحة،

باردة وحارّة،

زاحفة أو دابّة،

لها حراب، أظافر، براثن،

مخالب، أسنان، أنياب،

لا قاعدة فتُعرَف بقعودِها

فتُنبَّه وتُؤنَّب

وتُنصَح

ورُبّما تُفقَّه،

ولا قائمة فتُجزَى

مِنْ نوعِ ومقدارِ قيامِها

وعملِها..

كريمة أو لئيمة،

لا الكريمة انكسرتْ واستسلمتْ

ولا اللئيمة انتصرتْ وعربدتْ..

تصعد وتهبط

بحسب درجة الحرارة،

في مدّ وجزر

بحسب موقع القمر مِنَ الأرض

أو بحسب فصول السنة،

وإذا فصلان

فالخيارات ضيّقة

وإذا فصل واحد

فالمسألة شديدة الوطأة.

**

سماء قاسية

وعقبان في السماء

تدور وتدور.

**

قصصٌ فرِحة

وقصص غاضبة،

قصص آملة

وقصص آسفة،

ثائرة أو خامدة،

كارهة

ينزُّ الدمُ الأسود

مِنْ بين كلماتها.

قصصٌ

عن القطط السمان،

عن الإتّحاد والتغيير،

عن العقلِ اللاهوتيّ والعقلِ الناسوتي،

عن العقل السحري والعقل العِلميّ،

عن رحيل، عن بحار مظلمة،

عن عالم التحكّم مِنْ بُعد،

عن جرائم شرف

تمنحه السلطاتُ العليا

للسلطات الدنيا،

عن تواريخ ساديّة،

عن مصّاصي الدماء..

وحبائل وخيانات،

وأسواق نخاسة..

عن مسافات

ليس فيها مسافات،

ليس فيها مسافة واحدة،

عن قلّة احترامِ الذات،

عن عيون تدور في محاجرِها وتدور،

عن صدفة، خطأ، حظّ،

وانقلِ الرسالة إلى الأمام.

**

ليس كلّ سؤال هو سؤال

ولا كلّ جواب هو جواب،

جلّ الأسئلة وجلّ الأجوبة

لا هي أسئلة ولا هي أجوبة..

يكسب جولات ويخسر الحرب

ويخسر جولات ويكسب الحرب،

يرعى بالعصا ويرعى بالكلاب..

ويجتمع ويفترق.

**

سعيٌ

مِنْ دون جدوى

أو

عمل

مِنْ دون أمل.

**

أكثر من يصمت

هو أكثر من يقول

وأكثر من يعمل

هو أكثر من يجوع.

أكثر من يحتمل

هو أكثر من يقع فريسة العدم

وأكثر من يعلم

هو أكثر من يقلق.

**

يعرف

وفي عينيه اليوم الأخير،

يُبهره الحبّ

ولا يعرف سبيلاً إليه،

يتزحلق على الوقت

والوقت يُزحلقه..

ويُدبِر

كأنّما مِنْ وباء.

**

في الجهةِ

وفي الجهةِ المعاكسة،

كلمات

ينطق بها اللسان،

محاولة يائسة بالأسنان،

عملُ أو ترتيبُ صُدْفة،

صراخ لا ينقطع،

عُقّال، جهّال،

لهم وليس لهم،

لذاتهم أو بذاتهم،

مَنْ يعمل، من لا يعمل،

من يأمل ومن لا يأمل،

مَنْ يقع فريسة سهلة،

مَنْ تاه في مسافة خرم إبرة..

أناشيد حبّ وحرب،

جماعات وأفراد أفقيّاً وعموديّاً،

مَنْ يُفكِّر، مَنْ لا يفكِّر،

مَنْ يؤذيه أن يرى أحياء الصفيح،

من لا يؤذيه أن يرى أحياء الصفيح..

اغتراب

لا أوّل له ولا آخر.

**

يتسلّل

بين الشقوق،

بالظاهر

مع كارل ماركس

وبالباطن

مع سلطة رأس المال

أو بالظاهر

مع محمّد نبيّ الإسلام

وبالباطن

مع أبي جهل

أو بالظاهر

مع السيّد الناصريّ

وبالباطن

مع القيصر.

**

شجَّ

بحَجر

رأسَ الكهرباء.

**

شُبهةُ نملٍ أبيض،

إرهابٌ دوليّ، عقليّات سحريّة

بالجملة والمفرّق،

صراعاتٌ

نتاجُ دراسات وأبحاث،

عولمة قهريّة،

صراعُ حضارات أو ثقافات،

شهود زور، لا ودّ ولا عهد،

قسوة وأنانيّة،

"مِنْ مصلحة الحكّام

اختلاف المحكومين"،

وثيران تأخذها العِزّةُ

إنّها "تفوت" بالحيط.

**

القطّ

يحفر ويطمر،

الكلب

يرفع ويرشّ،

الجمل

يحمل ويحتمِل،

الحمار

ينهق ويُبعِّر،

أبو صيّاح الديك

يصيح ليطلع الفجر،

السنونو

تلبس الحداد،

الحيّة

لا تؤمَن متى تَنهش،

الأرنب

سرعان ما يهرب،

عصفور الدوري

اليقظ،

البومة

الحكيمة،

الغراب

مُشعِلاً النيران

في بيتٍ فقيرٍ

كان يؤويه،

الجراد

لا يُبق ولا يُذِر،

والفيروس مستحكماً

لا يبتلع مدينة وحسب

بل يبتلع الأرض قاطبة.

**

كَرٌّ وفَرٌّ،

مَنْ يؤكِّد أنّ النزاهة

في الممارسة

لا في الكتابةِ والخطابة،

مَنْ يقول

إنّ المرأة عورة

ويحرِّقها بطغيانِه،

من يحمل بابَ بيته

على ظهره،

من يتقدَّم

ناظراً إلى الخلف،

"أفمن

يمشي مكبّاً

على وجهه

أهدى"؟

من ليست لديه فكرة

ومَنْ يفتح نافذة بقلبٍ سليم.

**

تحيّة

لعلوم الطبّ،

تحيّة

لعلوم الهندسة،

الإجتماع، البيئة،

النشوء والتطوّر،

أصل الإنسان الدارويني،

الآثار، البحار، الزلازل، البراكين،

الفلك، المواصلات، الإتّصالات،

الحشرات، الجينات..

ولكلّ علم طبيعي.

**

عبقريّات علميّة

لا تثنيها عن إعلان الحقيقة

دعوات كاذبة

بإسم وحدة القبيلة أو الطائفة،

و"صيّاد سمك

يتفحّص كلّ ثقب في شبكته

بعد كلّ جولة صيد".

**

عقلٌ حربٌ

وعقلٌ حربٌ

على الحرب.

**

.عقلٌ

رياح الصبا

بالعسل.

**

أجنحة

واءمتها الريح،

مثلّثات، مربّعات، مستطيلات،

جيِّد، جيّد جدّاً، ممتاز،

صهيلُ خيل، أحلام موسيقى،

أخوّة صادقة وأخوّة كاذبة،

ورود تحميها حِراب،

آلهة، إله متعدِّد، إله واحد،

نتاج "التراكم الكمّي

الذي يؤدّي إلى تحوّل نوعي"

والمتصوِّفةِ يقولون:

"الطريق لا الوصول".

**

شهوةُ السلطة وعماءُ البصيرة،

الذين في دائرة الدعوة إلى الخصخصة،

يبتنون على أساس أنّ السلام آت

لا على أساس أنّ السلام غير ممكن بعد،

القنابل العنقوديّة والقنابل الفوسفوريّة،

من يرتكب إثمهما مجرم حرب،

يُخفَر إلى المحكمة الجنائيّة الدوليّة

مع جميعِ الذين رخّصوا له،

أم صار المجرم حائط مبكى

أو يرشح زيتاً أو تظلّله غمامة؟..

الذين يكرِّرون ما يوحى إليهم

والذين إذا عجزوا غيّروا الكلمات.

**

العِلمُ

رأى النورَ،

أورقَ، أزهر وأثمر

في عصور متأخِّرة.

**

نتاجُ خططٍ

شديدة الوطأة،

الإقطاعُ الطائفيّ،

العصا، سوءُ الظنّ،

التمييزِ بين الجنسينِ،

من يطير ولا أرضَ له،

من يفقد صوابَه،

من يقول

وشرْطه ألاّ يقول،

الكلّ

على الكلّ،

اليأس المتفجِّر

ومن يستبعد

أن تكون للإحتلال يد

في كلّ هذا الخراب.

**

ينهار

تحت أثقال ضربات اليأس،

لا يرغب مِنَ البصيرة

إلاّ في ما لا بصيرة فيه،

يرفس لكي ينهق،

يُقهقه حين يجب أن ينكتم،

ريح صرصر بالخلّ،

رياح خماسين بالحنظل،

لا بالطول ولا بالعرض

و"كالأنعام بل أضلّ سبيلا".

**

ينسحب بجلبة

وينسحب بصمت،

إصابات بليغة

وعمليّات حسّاسة،

مباحثات ماراثونيّة

بانتظار خلل

في موازين القوى،

قوى أمنيّة أقلّ أمناً،

ابتساماتٌ

تقطر سمّاً،

مصحّات عقليّة،

ذوات شاردة،

ثنائيّات، تناقضات،

إطلاق عيارات ناريّة

في سكون منتصف الليل،

مزايدات، مناقصات،

حوالات ماليّة،

الشركات المتعدّدة الجنسيّة

العابرة للمحيطات والقارّات،

البنكُ الدولي،

صندوقُ النقدِ الدولي،

حقُّ القوّة،

"الإمبرياليّة

أعلى مراحل الرأسماليّة"..

وما من سوء فهم.

**

إياب في ذهاب

وذهاب في إياب،

حقائب

في أمكنة موات،

اغتيالات

واغتيالات مضادّة،

"أخوك أم الذئب"؟

"أصاحب أنت فأركن إليك"؟

"العقرب تلدغ وتصيء"،

"ستبدي لك الأيّام

ما كنتَ جاهلاً"،

"مَنْ صار نعجة

أكلَه الذئب"،

"خذِ الأمرَ بقوابله"،

"الصبرُ

حيلة مَنْ لا حيلة له"،

"الشاة المذبوحة

لا يؤلمُها السلخ"،

"الرؤية طيران

فوق القيم

والمفاهيم القائمة"،

"يبني قصراً

ويهدم مصراً"،

"من طلبَ العلى

بغيرِ كدّ

سيدركها

إذا شابَ الغراب"،

"أفكار

تتغيّر وهي تتشكّل"،

حيوات

تقتحمها حيوات

تقتحمها حيوات،

إرادات

أرفع مِنْ إرادات،

رحيل

يرجع برحيل

آخَر،

من يقول قلْ

ومن يقول لا تقلْ،

المحلّ محلّك

ومحلّك يُسلخ منك،

الطيور المهاجرة،

علوم الكيمياء والفيزياء،

الأعماق أللاّنهائيّة،

عابر يواريه الضباب،

الشِعر،

عصاه السحريّة،

أدوار وأدوار.

**

الذهاب صناعة

والإياب رؤية ورؤيا.

**

غنّام،

نحّال، جزّار،

فرّان، فاخوريّ،

نحّات، زيّات، مبيِّض، نحّاس،

سمّان، حائك، حلاّق، مُمرِّض،

عمّار، نجّار، دهّان، حارس،

مُدرّس، رسّام، بيطريّ، سجّان،

جلاّد، سيّاف، شنّاق، صيرفيّ،

معّاز، شرطيّ، جنديّ، مخبِر، خيّاط،

جرّاح، طيّار، موسيقيّ، مغنّي، راقص،

حصّاد، نخّاس، فاكهانيّ، غطّاس،

بلاّط، حذّاء، حطّاب، دبلوماسيّ، خضّار،

سمّاك، زرّاع، بحّار، ختّان،

قابل، ممثِّل، جمّال، عتّال، عسّال، سائس، مروِّض،

مخللاتيّ، طبّاخ، فندقيّ، خمّار، تاجر، منظِّف، فيّال،

بغّال، إسكافيّ، دالول، لحّام، بوّاب، دَرَّاس، حلاّب،

صائغ، نجّاد، حرّاث، عطّار، لبّان، جبّان، محاسب، مهرِّب،

عشّاب، تيّان، صبّاغ، دبّاغ، فحّام، حمّار، طبّاع،

خطّاط، مصوِّر.. وفلكيّ.

\\

وكأنّما لا أحد،

وكأنّما إلى الأبد،

وكأنّما حرب

حقيقيّة يوميّة،

وكأنّما جفّتِ الدموعُ

مِنْ أزل.

\\

."كلّ ما بين مزدوجين صغيرين منقول"

2011

Shawkimoselmani1957@gmail.com